

# العلوم

## ٦ - بحث في أصل الانسان

بقلم نعيم على راغب

دبلوم مال في الجغرافية

من تلك الفكوك التحجرة التي وجدناها عرفنا أنه قد عاش في الثابت الاستوائية في أوائل عصر البليوسين نوع من القرود الكبيرة، وأنه قد كان لنوع من أنواع الغوريلا أو الشمبازي أو أورانج بوريو وسومطره كبير الحجم تمت الى الانسان بالشبه من وجوه مختلفة. وأتينا نعرف أن أصناف القرود التي تسمى Anthropoids والتي يمتلكها قرود الأورانج والسيامي كانت موجودة، وأنه كانت هناك كذلك أنواع أخرى مختلف كثيراً عما نراه في نظيراتها اليوم، إلا أنها كانت من أصل واحد. ولذلك فإن من الممكن القول أن ذلك النوع الذي تفرع وتطور منه الانسان كان موجوداً في أوائل عصر البليوسين

وبنحن إذا تقدمنا في بحثنا الى عصر الميوسين فإنه لا يمكننا أن نجد فيه أي أثر إنساني. وليس في استطاعة من يعرف أن بحثنا لم يكن إلا قصير المدى ولدة وجيزة وأن هناك معلومات قيمة جيولوجية لم يكشف عنها بعد، إلا أن يقول إن الانسان لم يوجد

في عصر الميوسين بشكله الذي نعرفه به. وليس هناك أي شك في أن أواخر ووسط عصر الميوسين كانت فترة تطور كبيرة مدهشة في عالم القرود، دليلنا على ذلك ما قد كشف بين ثنايا طبقات ذلك العصر من متحجرات وبقايا مما لا يقل عن عشرة أنواع من أنواع القرود الكبيرة التي فاق حجمها حجم الانسان. وكانوا عملاقة إذا ما قورنوا بما قد سبقهم من الأنواع الكبيرة. وإنا كان الانسان عملاقاً أولاً بالنسبة لباقي المخلوقات وكانت هذه الحيوانات وأحجامها أمام فكرنا، فإنه لا يسع الانسان إلا أن يشك في أن الانسان قد تفرع في ذلك الوقت عن فرع منها.

أما معلوماتنا عن هذه القرود فقد بيناها على ما قد وجدناه من بقايا فكوكها وحطام أسنانها. يقول عنها بعض العلماء إنها بقايا نوع من القرود الكبيرة كان متجه نحو التطور الانساني، ولكن لا يمكننا الحكم بذلك من مجرد بقايا الفك أو بضع أسنان، لأنه قد سبق لنا أن مظهر الفك وشكله لا يدلان على نوع صاحبه كما عرفنا في انسان البلتون. ولكن البرهان الحقيقي الذي يمكننا أن نتفرع منه الحقائق الثابتة هو الحجمة وعظمة الفخذ والتقدم، وهذا ما لم يوفق اليه أحد حتى الآن.

لكننا مع ذلك يمكننا القول حتماً بأن قرود عصر الميوسين برغم اختلافها في الشكل والتكوين عن نظيراتها في العصر الحالي

أبطالها بين الشهوة والأثران فيفخرون بتحمل آلامهم باحثين عن الراحة في شعورهم بالاخلاص للمثل الأعلى وخير ما أختتم به هذه الدراسة المقترضة أن أردد ما قاله الناقد الروائي للحق التيمس الأدبي :

« إن الذين تطربهم الشهوة والذين يعترفون بقوة الالهام ويقدررون أيضاً نمعة إظهار الأخلاق على حقيقتها ومحدد العواطف البشرية ورسمها، والذين يميلون بقطرهم إلى آداب النثر الفني الانجليزي وعظمتهم يستطيعون أن يجدوا كما وجدنا هذه الآثار الرائعة في روايات شارلس مورجان » محمد أمين حمزة

بعد تردد، وهم لا يعملون عملاً متفقاً عليه ولا يتحركون كآلة، بل تبدو من خلال شخصياتهم الأرادة القوية والشعور باحترام أنفسهم، وبرغم الحوادث والكوارث التي تنتابهم تراهم محققين بنزاهتهم الأدبية وباستقلالهم في الرأي والحكم

فشارلس مورجان بعد أيضاً من هذه الناحية من المؤلفين الارشاديين، وهو يوجه قراءه إلى مثل عال واضح محدود. وفي الوقت الذي يتلمس التأليف الروائي الانجليزي سبلاً للوصول إلى نوع جديد، رى مورجان يملك طريقاً مبتكراً، وهو يشبه في فنه « برنيس دي كليف » وغيرها من القصص التي يجمع

(وقد وجدنا بالقرب من الفيوم) يظن أنه قد تفرغ عن أصل قردة الجيوسون وقردة الدنيا القديمة. وفي هذا النوع الذي وجدوه نلتصق القرابة والتشابه المحسوس مع قردة الأيوسين. أما الهيكل الثاني فإنه لقرد صغير يظن أنه من حلقات تطور القردة الأولى وإن منطقة الفيوم هذه قد أعطتنا فكرة عن قردة الدنيا القديمة وتطورها في عصر الأوليوجوسين، وهذه الفكرة تكفي لنا لنعرف أننا نتقرب في بحثنا ونتمتع في عصر من الدرجة الأولى لتطور أنواع القردة إلى عصرنا هذا الذي يختلف فيه أنواع القردة الأولى، ولو أن كليهما من عنصر واحد وتركيب واحد وقد أمكننا من بحثنا في سخور الأوليوجوسين أن نعرف وزى بوضوح تام أنه لم يوجد في ذلك العصر أى نوع من الأنواع الانسانية أو القردة، بل وجد أصل كل تلك الأجناس العظيمة

ولم تكن نريد أن تتعمق أكثر من هذا في بحثنا ونصل فيه إلى عصر سحيق متناه في القدم يمثل العصر المعروف باسم عصر الأيوسين، إلا أننا علمنا أن العلامة الكبير الأستاذ ف. وود جوتز وهو من عباقرة هذا العصر Prof. F. Wood Jones يصرح بأنه يؤيد أصحاب النظرية التي تقول إن الانسان قد تفرغ من شجرة الأجناس وابتعد عن باقيها من عصر الأيوسين حينما أخذت ذوات الثدي تعدل من شكلها ويتخذ كل منها له صفات ومميزات تميزه من غيره

لذلك تقول إنه قد وجد في طبقات عصر الأيوسين وبخاصة في الولايات المتحدة وفرنسا متحجرات لأنواع كثيرة جدا من ذوات الثدي البائدة وكلها صغيرة الحجم. وقد وجد ضمنها نوع يشابه القردة التي أطلق عليها اسم Tarsioid وهذا النوع قد باء ولم يبق ما يماثله الآن سوى نوع واحد يعيش في غابات الملايو سريع الحركة راق العينين واسمها لا يظهر إلا بالليل ويطلق عليه اسم Tarsius

ويعتقد الأستاذ وود جوتز أننا في بحثنا هذا سوف نجد حتما سلسلة متتابعة من الهياكل المتحجرة التي تثبت لنا أن أصل الانسان يرجع إلى سلف من أسلاف هذا النوع (Tarsius) وبذلك يعطى للانسان وأصله عمراً يقدر بنحو مليونين أو ثلاثة ملايين سنة ما

نقيم على ما

يتبع

لا تختلف عنها في شيء آخر، وقد وجدت آثار لصغار القردة التي يمثلها نوع الجيوسون وتمتاز أسنانها بسننها، مختلفة في ذلك عن باقي الحيوانات التي كانت منتشرة في غابات الملايو. وإنما لا نشك لحظة في القول بأنه إذا كان هناك عالم حيواني قد نزل الأرض من كوكب آخر منذ ٧٠٠ ألف سنة لوجد كل الأجناس موجودة بها ما عدا الانسان، وهذا معناه أن الانسان كما نعرفه الآن لم يوجد قبل تلك الفترة، ولكن هل كان الانسان الأول موجوداً في ذلك الوقت؟ أو هل كان أصل الانسان الذي تفرغ عنه موجوداً في ذلك الوقت؟ لا يسعنا إذا نظرنا إلى كمال جسم الانسان وعظامه قبل نهاية عصر البليوسين إلا أن نقول إن الانسان في تطوره أو تفرغه عن شجرة الأجناس (كما سنطلق عليها الآن) قد بُعد عن أن يكون قرداً أو عن نوع القردة من بدء عصر الميوسين على أقل تقدير، وهذا ما احتاج إلى ملايين السنين، وربما كان ذلك قبل ذلك الوقت حيث عصر الأوليوجوسين ولنجل اليوم جولة أخرى حيث يقودنا الماضي السحيق الذي يبعد عنا بملا يقل عن نصف مليون سنة إلى عصر مبكر من عصر الأوليوجوسين حينما كانت الغابات تغطي شمال أفريقيا ومنطقة الصحراء الكبرى والسودان، وحينما كان يغمرها نهر عظيم فياض كان يفيض في الشمال والجنوب مكوناً دلتا عظيمة كانت مكان دلتا النيل الحالية، وتظهر آثارها في الفيوم على شكل ربوات عالية من الطباشير، غنية بمحفراتها التي تمثل نوع الحيوان الذي كان يسكن شمال أفريقيا في النصف الأول من عصر الأوليوجوسين، ولذلك نوجه بحثنا إليها.

في سنة ١٩١٠ كشف بها عن اكتشافات هامة هي أسنان وحطام أفكاك ثلاثة أنواع غريبة من الأنواع الأولى البائدة. وكانت أشد ما أدهشنا في تلك الأسنان أنها صغيرة الحجم، وأن تلك الأنواع صغيرة الحجم لا يتجاوز حجمها حجم القرد الأمريكى المعروف باسم Marmoset ونسبة حجم جسمها إلى جسم الجيوسون توازى نسبة حجم ذلك إلى حجم القردة الكبيرة. إلا أنه قد كشف أن أحدها وهو الذي أطلق عليه Propliopithecus عمت بصلات تقربه جداً إلى النوع المعروف باسم الجيوسون. وإنما نشك في أن هذا النوع الذي ذكرناه قد يكون أصل قردة الأوليوجوسين والميوسين والأنواع التي يطلق عليها اسم الجيوسون وقد وجد الباحثون هيكل قردين آخرين: الأول صغير الحجم